تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح عليه السلام

إعداد

د. بسمة بنت أحمد جستنية

جامعة طيبة – المدينة المنورة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية

من ١٥٩٩ إلى ١٦٤٨

الملخص العربي

تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فهذا بحث كتبته ردا على دعاوى النصارى في أن القرآن الكريم قرر لاهوت المسيح عليه السلام وناسوته، وبينت فيه استدلالاتهم الخاطئة المبنية على خلط وجهل بالمعاني وزيغ في القلوب، وعنونت له: تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح عليه السلام، وفيه عرضت لدحض دعاويهم والتأكيد على أن عيسى عبد لله تعالى ورسول من رسل بني إسرائيل، وأنه بشر من البشر، رفعه الله إليه وسينزل آخر الزمان، وسيجري عليه ما يجري على البشر عموما من الموت والبعث بما يدحض دعاوى النصارى في إلوهية المسيح عليه السلام. وقد جعلت البحث في ستة مباحث سبقها تمهيد: في بيان معنى العبودية والتعريف بالمسيح عليه السلام من خلال القرآن الكريم . والمبحث الأول عنونت له بإثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروحه. والمبحث الثاني: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار التصريح بعبوديته لله تعالى. أما المبحث الثالث فكان عنوانه عبودية المسيح عليه السلام باعتبار البشرية. ثم المبحث الرابع: عبودية المسيح باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية. والخامس وعنوانه: عبودية المسيح باعتبار قبضه ورفعه إلى السماء. وأخيرا المبحث السادس:عبودية المسيح عليه السلام باعتبار نزوله وموته.

وقد أثبت من خلال البحث تقريرات القرآن الكريم،وحاصل أقوال أهل العلم قديما وحديثا المؤكدة أن المسيح عبد مخلوق وليس إلها معبودا وليس في أي منها ما يوافق دعوى النصارى أن المسيح ابن لله وأنه جزء من الله. تعالى الله عن ذلك. والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله علماً نافعاً وعملاً خالصاً متقبلاً.

Summary of the Research

the Holy Quran Reports About Christ Slavery

Praise be to Allah, and peace be upon his prophet Mohammed, his family and companions.

I have written this research as an answer to the claim of the Christians that the holy Quran reports the Christ deity. I have pointed out their false illustrations that based on their ignorance with the meanings, and their misleader hearts. I have put the title: "the Holy Quran Reports About the Christ slavery". I have pointed out their false claims, and made sure that Jesus is a slave to Allah, and a prophet form the children of Israel prophets. He is a man from humans. Allah raised him to the heaven, and he will descend at the end of this world. He will die as all humans and he will raise from the dead. That will defeat the Christians claims of the Christ deity. I have made the research in six chapters and a preface about the clearness of the slavery meaning, and defining the Christ by the Holy Quran. The first chapter: the Christ slaver prove by considering his creation by the word of Allah and his spirit. Second, the Christ slavery by considering his announcing himself as a slave to Allah. Third, the Christ slavery by considering his humanity.

Fourth, the Christ slavery by considering his death and raising up to the heaven. Sixth, the Christ slavery by considering his descending and his death.

I have proved the Holy Quran reports, and the conclusion of the scholar's opinions, that the Christ is a created slave, not a god, and not a son of a god or a part of Allah as the Christians claim falsely.

May Allah accept my little efforts!

Thanks To My Goodness Allah

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء ٢٥، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، الذي بشر به رسول بني إسرائيل، عيسى بن مريم عليهما السلام، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فأرسل الله عيسى ين مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة ،وداعيا إلى عبادة الله وحده، فالنبي عيسى عليه السلام هو أخر الأنبياء قبل نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم.

وأخبر الله تعالى في القرآن عن حاله قبل أن يولد في آيات بينات، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

خلق الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام بكلمة منه، فحملت به أمه دون أب، لحِكمةٍ أرادها الله تعالى. وتكلم في المهد، مبرءا نفسه ووالدته من دعاوى اليهود والنصارى، فبرأ نفسه من أن يكون إلها أو ابن إله، كما ادعى النصارى، وإنما هو عبد لله.

وبرأ نفسه مما ادعاه اليهود فيه أنه ساحر كذاب، فبين أنه نبي من أنبياء الله. وبرأ أمه من أن تكون بغيا، كما لمزها بذلك اليهود.

فبين أنه خلق فيها من دون أب، والله تعالى لا يعجزه شيء، فقال مؤكدا ذلك :{وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا} (مريم ٣٢)، فذكر والدته ولم يذكر له أبا، بخلاف ما حكاه الله تعالى عن يحي بن زكريا عليهما السلام، حين قال:{ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا} (مريم١٤).

كما أن سياق كلامه كله، وتكلم أساسا بمعجزة لتبرئة أمه من دعوى اليهود.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾، وأجرى الله على يديه آيات بينات، وأنزل الله عليه كتابا هو الإنجيل، وآمن به الحواريون، وكفر به اليهود حسدا وعنادا.

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا

فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ سورة المائدة.

صبر عيسى ابن مريم عليه السلام على أذى اليهود، وحقق عبوديته لله، وفي كل مرة كان يذكرهم بموقفه من موسى عليه السلام، وأنه مصدق بالتوراة، ويعظهم ويذكرهم بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ (آل عمران: الآية ٥٠).

وكان اليهود يتربصون به، وتآمروا على قتله، وأوحى الله إليه أنه سيرفعه إليه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٥٥)

وشبه لهم وللنصارى، وظن اليهود أنهم قتلوه، وصدق ذلك النصارى، ونفى الله ذلك كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾، فعيسى عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل، وإنّما رفعه الله إلى السّماء. وسيترل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فيكسر الصليب، ويقتل الدجّال، كما ورد في الأحاديث النبويّة، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيدِه، ليُوشكنّ أن يترلَ فيكم ابنُ مريمَ حكماً مقسطاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخترير، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبلَه أحدٌ".[1]

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام، رسول لبني إسرائيل، من أولى العزم من الرسل، حقق العبودية الكاملة الحقة لله تعالى، كمن سبقه من الرسل والأنبياء جميعا عليهم السلام.فهذا ما قرره القرآن الكريم، كما سيأتي تفصيله.

وهذا البحث فيه رد على دعاوى النصارى في أن القرآن الكريم قرر لاهوت المسيح وناسوته، واستدلالاتهم الخاطئة المبنية على خلط وجهل بالمعاني وزيغ في القلوب وإتباع للمتشابه، مثل كلامهم في معنى الكلمة والروح الواردة في خلق عيسى عليه السلام،في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، حيث زعم يوحنا الدمشقي[2] في الحوار المفترض بين مسلم ونصراني، أن يقول

---

[1] رواه البخاري، صحيح البخاري، عن أبي هريرة، رقم٢٢٢٢.

[2] يوحنا الدمشقي وكما يسمونه: القديس ،كان كاتباً عند معاوية، ألّف في اللاهوت، والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر: المنجد في الأعلام ص: ٥٦٤. وتذكر الموسوعة العربية الميسَّرة (ص: ١٩٨٩) أن من أشهر مؤلفاته: ينبوع الحكمة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: تفسير لاهوتي لمقولات أرسطو، وتاريخ

النصراني للمسلم: ماذا يدعى المسيح في كتابكم؟ .... فيقول: في كتابي يدعى المسيح روح الله وكلمته. عندئذ قل له من جديد: روح الله والكلمة بحسب كتابك هل هما غير مخلوقين أم مخلوقان؟ فإذا قال لك إنهما غير مخلوقين، قل له:ها إنك توافقني في الرأي، لأن من لم يخلقه أحد ،بل من يخلق كل الأشياء إنما هو الله.أما إذا تجرأ على القول بدون تحفظ إنهما مخلوقان، فقل له: من خلق إذا روح الله وكلمته؟فإذا ما ارتبك وقال: إن الله هو الذي خلقهما، .... فقل له: "قبل أن يخلق الروح والكلمة هل كان الله بدون روح وبدون كلمة،فعندها يهرب منك، إذ ما من شيء عنده ليجيبك به.[١]

ومن هذه الشاكلة ماذكره محمد رشيد رضا في تفسيره حيث قال : زعم بعض النصارى أن "من" للتبعيض، وذلك في قوله تعالى (وروح منه) وقالوا: إن عيسى جزء من الله، بمعنى أنه ابنه، ونقل المفسرون أن طبيبا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى، عليه السلام، جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدي قوله، تعالى: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (٤٥: ١٣) وقال: يلزم إذا أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصراني وأسلم، ففرح الرشيد بإسلامه، ووصل الواقدي بصلة فاخرة.[٢]

وهذه الشبهة ألقاها نصارى نجران بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: " ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: بلى. قالوا: فحسبنا. فأنزل الله

البدع، وعرض للعقيدة المسيحية، كما يذكر نجيب العقيقي في "المستشرقون" (١: ٧٢) أنه "خيرُ معبر لنقل الأفكار اليونانية والرومانية للمسلمين".

[١] انظر كتاب الهرطقات المائة ليوحنا الدمشقي ص٧٠-٧١. وقد ذكر هذه الدعوى لهم الجاحظ في كتابه المختار في الرد على النصارى،ص٨٧، كما ذكرها أبو عبدالله القرطبي في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، ص١٣٣، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح نحن عنوان: نقض دعواهم أن القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت.وانظر أيضا كتاب إظهار الحق ٨٨/١.

[٢] تفسير المنار (٦/ ٦٨)

عز وجل: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (آل عمران:٧)[١]

ولهذا كان الدافع لكتابة هذا البحث بيان تقرير القرآن الكريم في دحض هذه الدعاوى، والتأكيد على أن عيسى عبد لله تعالى ورسوله، وأنه بشر من البشر، حقق العبودية الكاملة لله عز وجل، ورفعه الله إليه، وسيترل آخر الزمان، وسيجري عليه ما يجري على البشر عموماً من الموت والبعث، بما يدحض دعاوى النصارى بإلوهية المسيح عليه السلام.

وقد جعلت عنوانه: تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح عليه السلام.

وذلك أن تقرير العبودية من أعظم العقائد، فهي غاية وجود الإنسان ، وأساس دعوة الرسل عليهم السلام؛ ويتبين منه أن المسيح عليه السلام عبد من عبيد الله الكمل، وليس إلها ولا ابن إله.

وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- تمهيد: في بيان معنى العبودية والتعريف بالمسيح عليه السلام من خلال القرآن الكريم .
- المبحث الأول: إثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروحه.
- المبحث الثاني: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار التصريح بعبوديته لله تعالى.
- المبحث الثالث: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار البشرية.
- المبحث الرابع: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية.
- المبحث الخامس: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار قبضه ورفعه إلى السماء.
- المبحث السادس: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار نزوله وموته.

وخاتمة في نتائج البحث.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله علماً نافعاً وعملاً خالصاً متقبلاً.

---

[١] رواه الطبري في تفسيره ١٧٧/٣.

التمهيد

مفهوم العبودية:

هي أعلى مقامات الدين،وغاية خلق الإنسان، قال تعالى في خطاب موجه للناس عموما:{ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} البقرة ٢١ ، وقال :{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}الذاريات ٥٦

والعبودية في اللغة: مصدر عبد يعبد عبادةً ومعبداً ومعبدةً، فهو عبدٌ، أي: ذلّ وخضع.

قال ابن منظور:"أصل العبودية الخضوع والتذلل ... وعبد الله تألّه له ... والتعبّد: التنسك، والعبادة: الطاعة"[١]

فترتبط حقيقة العبودية بعبودية القلب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته،فما استرق القلب واستعبده فهو عبده،ولهذا يقال:العبد حرّ ما قنع، والحر عبد ما طمع".

العبودية اصطلاحًا: العبودية تعني الاستجابة لجميع الأوامر والخضوع لله والذلة له مع المحبة يقول شارح الطحاوية "فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته"[٢]

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:"هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[٣]

فجميع ما أحبه الله فيما أخبر به في كتابه، وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم من أعمال الجوارح والقلوب هو من العبادة.

---

[١] لسان العرب (٢٧٧٦/٥)، مادة (ع ب د)

[٢] شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٤٦)

[٣] رسالة العبودية لابن تيمية، ص١٩، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، الإسماعيلية، دار الأصالة، ط٢، ١٤١٩هـ.

وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال :فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" [١]

فالحديث اشتمل على أصول العبودية لله تعالى في الإسلام، فذكر الإسلام والإيمان والإحسان.

وانطلاقا من الآيات والأحاديث النبوية ،قسم العلماء العبودية إلى قسمين:عبودية عامة وعبودية خاصة.[٢]

فالعبودية العامة: هي عبودية القهر والتسخير والملك والتسيير، وهذه تعمّ جميع الخلق مكلّفهم وغير مكلفهم، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

والعبودية الخاصة: هي عبودية التأله والطاعة والمحبة وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، الذين استجابوا لداعي الله. قال ابن تيمية رحمه الله: "إن العبد يراد به المعبّد

---

[١] صحيح مسلم رقم ٨ القاهرة، دار السلام،١٤١٦هـ.

[٢] انظر في ذلك شرح رسالة العبودية ص٢٣ وما بعدها

الذي عبّده الله فذلّله ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، فما شاء كان وإن لم يشاءوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

ومثل هذه العبودية لا تفرّق بين أهل الجنة وأهل النار، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ... والمعنى الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد، فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بإلوهيته، ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) ،بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إلهاً آخر.

وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله. وأما العبد بمعنى المعبَد سواء أقر بذلك أو أنكره فهذا المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر"[١]

فعبادة الله تعالى هي غاية وجود الخلق، والغاية من إرسال الرسل عليهم السلام جميعا. قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾، فعلى مر الأزمان كانت الرسل

---

[١] رسالة العبودية ص٢٨، وانظر في نفس المعنى: مدارج السالكين لابن القيم ١/١٠٠

تبعث إلى أقوامهم ، يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى، وينهون عن الشرك وعبادة غيره .

ولما حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح عليه السلام، أرسل الله لهم رسوله نوحا، فكان أول رسول ،ولم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء : ٢٥] وقال تعالى : ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥]

فعبادة الله تعالى، والمداومة عليها وملازمتها كانت خاتمة الوصايا للنبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن توفاه الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ هذه الآية الكريمة جاءت في آخر سورة الحجر، خاتمة لمجموعة وصايا، أوصى بها الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام. واليقين هو الموت كما صح بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

ومن أولئك الرسل كانت خاتمة رسل بني إسرائيل، عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي بعثه الله تعالى، داعيا إلى عبادة الله تعالى،وناهيا عن عبادة غيره، وهو من أولي العزم من الرسل الذين حققوا العبودية الكاملة لله تعالى.

التعريف بالمسيح عليه السلام حسب القرآن الكريم إجمالاً.

المسيح: هو عيسى ابن مريم بنت عمران من بني إسرائيل، خلقه الله في بطن أمه بدون أب. وهو آخر أنبياء بني إسرائيل وهو أحد أولي العزم من الرسل، جعله الله لبني إسرائيل آية.

---

[1] انظر :صحيح البخاري. كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا ادرج في أكفانه عن أم العلاء رضي الله عنها.رقم ١١٨٦.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ
لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا
وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي
بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ
وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن
رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ
ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا
بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ

عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (آل عمران: ٤٤ – ٥١).

فهذه الآيات فيها ملخص عن تلك الشخصية الكريمة نبي الله عيسى عليه السلام ومما فيها :

إثبات نسبه وأنه عيسى ابن مريم وأنه مخلوق بكلمة الله خلقا خاصا ليس كبقية البشر من ذكر وأنثى وإنما هو مخلوق خلقا مباشرا في بطن مريم الصديقة بلا أب.

وأنه تكلم عليه السلام في المهد مبرءا أمه حين أتهمها قومها بولد دون زوج وقد فصل الله ذلك في سورة مريم فقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾. وأن الله تعالى علمه التوراة وآتاه الإنجيل وأنه نبي مكرم ورسول لبني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وأجرى الله على يديه المعجزات العديدة، ومنها: أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله،

ويخبر بني اسرائيل بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. وأنه فوق ذلك عبد مربوب ليس ربا ولا معبودا.

ومن قصته التي حكاها الله تعالى في مواطن أخرى أن بني إسرائيل اختلفوا فيه، فآمن به طائفة منهم ،وكفرت طائفة، فلم يقبلوا نبوته ولا رسالته، بل كفروا به، وأرادوا قتله وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه وصدقهم في ذلك النصارى مع أن الله نجاه منهم ، ورفعه إليه، وثبت في السنة نزوله آخر الزمان وقت خروج الدجال، فيقتله المسيح عليه السلام،ثم يموت المسيح عليه السلام، ويدفن في الأرض، وتكون الساعة قد أزفت، فيكون نزوله عليه السلام علامة على قرب قيام الساعة.

كما وبين الله تعالى أن النصارى قد ضلوا ضلالا كبيرا في المسيح عليه السلام، فادعوا أنه إله وابن إله، وأنه ثالث ثلاثة، وكفرهم الله تعالى بذلك. قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (المائدة ٧٢-٧٣).

وقال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ (الكهف ٤-٥)

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (التوبة ٣٠-٣١).

فالنصارى بناء على ذلك ضلوا ضلالا بعيدا في المسيح عليه السلام، فأخرجوه عن كونه عبدا مربوباً، وادعوا فيه أنه إله وابن إله معبوداً من دون الله تعالى.

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم، من الدلائل والبراهين ما يؤكد أنه رسول بشر عبد لله تعالى، ليس إلها ولا ابن إله ،تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

هذه أهم المعلومات المتعلقة بالمسيح عليه الصلاة والسلام مما ورد في القرآن الكريم والسنة إجمالاً.

المبحث الأول

إثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروح منه[١]

إن عبودية المسيح لله تعالى وبشريته تتناقض تماما مع دعاوى النصارى فيه، من أنه إله وابن إله وثالث ثلاثة، إلى آخر دعاويهم فيه. ومن جود الله تعالى وكرمه أنه ذكر من الحجج في كتابه مافيه أوضح حجة وبرهان على عبودية المسيح لله تعالى، بما يدحض دعاوى النصارى فيه.

وإن من أظهر الأدلة التي جعلها الله تعالى ردا عليهم، وإبطالا لمذاهبهم، وإثباتا لعبودية المسيح قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ (النساء ١٧١)[٢]

---

[١] جعلت هذا المبحث أول المباحث ،حيث عماد دعوى النصارى في إلوهية المسيح ومناظراتهم مع المسلمين أن القرآن الكريم قرر إلوهية المسيح بوصفه أنه كلمة الله وروح منه.

[٢] وبمعنى الآية حديث عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل» .البخاري رقم (٣٤٣٥)ومسلم رقم (٢٨)

فهذا نص صريح وتأكيد واضح وفصيح في إبطال غلو النصارى في المسيح وذلك في أربعة براهين على عبودية المسيح متتالية:

- أنه نسبه إلى مريم، فقال {عيسى ابن مريم}، وسيأتي بيانه في المبحث الثالث.
- أنه رسول الله، فقال {رسول الله}، والرسالة من كمال العبودية. وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في المبحث الرابع.
- أنه كلمة الله .
- أنه روح من الله تعالى.

فهذه البراهين الأربعة من أقوى الدلائل على عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى.فقول الله تعالى في هذه الآية أن المسيح كلمة الله ،إنما يعني كلمة الله التي هي (كن) التكوينية، التي بها تتكون المخلوقات،ولم يكن هو الكلمة، كما قال تعالى :﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل٤٠)، ويؤكد هذا أن الله تبارك وتعالى رد بها على النصارى، الذين ادعوا أن المسيح ولد الله بقوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ (مريم ٣٤-٣٥).

وأكدها لمريم حين استغربت أن يكون لها ولد ولم يمسها بشر قال تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وأكده الله تعالى في رده على المشركين المثلثين في قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

وقد أكد أهل العلم ذلك في بيان معنى قوله {وكلمته ألقاها إلى مريم}،فقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة قال:"هو قوله (كن) فكان.[١]

وقال ابن كثير رحمه الله في الآية عن المسيح:"إنما هو عبد من عباد الله ،وخلق من خلقه، قال له (كن) فكان، ورسول من رسله، و{كلمته ألقاها إلى كريم}: أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم".[٢]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:{وكلمته ألقاها إلى مريم}،"أي كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى،ولم يكن تلك الكلمة،وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم".[٣]

يعني حين يقال:"عيسى كلمة الله"،فإضافة الكلمة إلى الله من باب التشريف، كما يقال ناقة الله، وبيت الله.

وقال محمد رشيد رضا: {وكلمته ألقاها إلى مريم} وهو تحقيق كلمته التي ألقاها إلى أمه مريم ومصداقها ، والمراد: كلمة التكوين أو البشارة ، فإنه لما أرسل إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، بشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاما زكيا ، فاستنكرت أن يكون لها ولد وهي عذراء لم تتزوج، فقال لها : {كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}،فكلمة (كن) هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض قدرة الله تعالى عند إرادته خلق الشيء وإيجاده، وقد خلق المسيح بهذه الكلمة، والإلقاء يستعمل في المعاني والكلام كما يستعمل في المتاع ، قال تعالى : {فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم }،ومعناه الطرح والنبذ ، فلما عبر الله عن التكوين أو البشارة بالكلمة حسن التعبير بقوله : وكلمته ألقاها إلى مريم أي أوصلها إليها وبلغها إياها.[٤]

---

[١] تفسير الطبري ٤١٩/٩

[٢] تفسير ابن كثير ٤٧٧/٢.

[٣] تفسير ابن سعدي ص٢١٦.

[٤] تفسير المنار ٦٧/٦

ومما يؤكد أن الآية دالة على عبودية المسيح وبطلان قول النصارى فيه ما رواه الإمام احمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في قصة المهاجرين إلى الحبشة أن قريشا أرسلت تطلبهم، فقال عمرو بن العاص –وذلك قبل إسلامه– : والله لانبئنهم غدا عيبهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة – وكان أتقى الرجلين فينا –: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي – والسيوم: الآمنون –.(١)

فهذا النص يؤكد أن النجاشي فهم من قولهم عن المسيح " وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول"أنها تعني أن المسيح عبد مخلوق بكلمة الله وأن الروح المنفوخة في بطن مريم هي روح مخلوقة من الله وأن ذلك يتناقض مع دعوى النصارى ألوهية المسيح وبنوته لله، لذا ضرب الأرض وأخذ العود وفعل مافعل و قال ماقال، وهذا الذي فهمه البطارقة وأنكروا على النجاشي أن يقبله ويقر به. "وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الكريم –كلمة الله – أنه ليس للمسيح سبب بشري قريب من جهة

(١) مسند أحمد ٢٦٧/٣

أبيه ينسب إليه كما الناس، لذا نسب إلى سببه القريب، وهو تخليقه بكلمة الله، التي تخلق وفق أمرها".[(١)]

فهذه كلها تقريرات مؤكدة أن عيسى عليه السلام إنما هو عبد مخلوق، خلقـــه الله تعالى بقدرته وعظمته تعالى، حيث لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أما قوله تعالى :{ وَرُوحٌ مِّنْهُ} فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله.

الأول: معنى قوله:"وروح منه"، ونفخة منه، لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في دِرْع مريم بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه"روح من الله"، لأنه بأمره كان. قال: وإنما سمي النفخ"روحًا"، لأنها ريح تخرج من الرُّوح.

وزاد هذا المعنى توضيحا كلام ابن كثير: قال: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمـــة الـــتي أرسل بها جبريل، عليه السلام، إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه، عز وجـــل، فكان عيسى بإذن الله، عز وجل، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعهـــا، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله، عز وجل؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل.[(٢)]

الثاني: يعني بقوله:"وروح منه" إنه كان إنسانًا بإحياء الله له بقوله:"كن".

قالوا: وإنما معنى قوله:"وروح منه"، وحياة منه، بمعنى إحياءِ الله إياه بتكوينه.

الثالث: معنى قوله:"وروح منه"، ورحمة منه، كما قال جل ثناؤه في موضع آخر: (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) [سورة المجادلة: ٢٢] . قالوا: ومعناه في هذا الموضع: ورحمة

[(١)] انظر في ذلك كلام منقذ محمود السقارفي كتابه الله جل جلاله واحد أم ثلاثة تحت عنوان(استدلال النصارى بآيات من القرآن على إلوهية المسيح)،ص١٤٧-١٤٨،ط١،دار الإسلام للنشر والتوزيع.

[(٢)] تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧) وانظر تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٦)

منه. قالوا: فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدّقه، لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد.

الرابع: معنى ذلك: وروح من الله خلقها فصورها، ثم أرسلها إلى مريم فدخلت في فيها، فصيَّرها الله تعالى روحَ عيسى عليه السلام.

الخامس: معنى"الروح" ههنا، جبريل عليه السلام. قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها أيضًا إليها روح من الله. قالوا: فـ"الروح" معطوف به على ما في قوله:"ألقاها" من ذكر الله، بمعنى: أنّ إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله، ثم من جبريل عليه السلام.[(١)]

السادس: يجوز أن يراد بقوله تعالى: وروح منه الأمران معا ; أي أنه خلق بنفخ الملك المعبر عنه بالروح وبروح القدس، في أمه نفخا كان كالتلقيح الذي يحصل باقتران الزوجية، وكان مؤيدا بهذا الروح مدة حياته; ولذلك غلبت عليه الروحانية، وظهرت آيات الله فيه زمن الطفولية وزمن الرجولية (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) (٥: ١١٠) فلما كان كذلك أطلق عليه أنه روح كأنه هو عين ذلك الملك الذي جعله الله سبب ولادته وأيده به مدة حياته، كما يقال: " رجل عدل " على سبيل المبالغة والمراد: ذو عدل.[(٢)]

السابع: وروح منه، كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفا.

ووضح هذا المعنى ابن كثير بقوله: إنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: {هذه

---

(١) هذه الأقوال الخمسة ذكرها الطبري في تفسيرها مسلسلة، وقال بعدها:" ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيدٍ من الصواب". تفسير الطبري (٩/ ٤١٩)

(٢) تفسير المنار (٦/ ٦٨)

ناقة الله} [هود: ٦٤] . وفي قوله: {وطهرا بيتي للطائفين} [الحج: ٢٦] .. أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد.(١)

الثامن: الروح الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل عليه السلام [بالنفخ وإلى عيسى] أن كن فكان.(٢)

التاسع: وروح منه : مؤيد بروح منه كما قال تعالى: «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» وكما قال فى صفات المؤمنين «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»(٣)

العاشر: قيل: قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحا، وتضاف إلى الله تعالى فيقال: هذا روح من الله أي من خلقه، كما يقال في النعمة إنها من الله. وكان عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فاستحق هذا الاسم.

الحادي عشر:" وروح منه" وبرهان منه، وكان عيسى برهانا وحجة على قومه.(٤)

فهذه حاصل أقوال أهل العلم قديما وحديثا وأنها تثبت أن المسيح عبد مخلوق وليس إلها معبودا وليس في أي منها ما يوافق دعوى النصارى وزعمهم حين قالوا: إن المسيح ابن لله وأنه جزء من الله ولا تعدوا دعواهم ذلك إلا أنها من المتشابه الذي يتبعه أهل الزيغ وإلا فإن الله ﷻ قد أزال الشبهة بما ذكر الله من قوله لمريم لما استغربت أن يكون لها ولد بقوله ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]

ودعوى النصارى أن القرآن الكريم فيه تقرير لاهوت المسيح إفتراء على الله ﷻ وكذب على كتابه ورسوله ﷺ ولشيخ الإسلام كلام جميل في هذا المعنى حيث

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٨)

(٢) تفسير البغوي – إحياء التراث (١/ ٧٢٤) وانظر تفسير المراغي (٦/ ٢٩) حيث أشار إلى المعنى الثاني

(٣) تفسير المراغي (٦/ ٢٩) تفسير المنار (٦/ ٦٨)

(٤) تفسير القرطبي (٦/ ٢٢)

قال: دعواهم على محمد صلى الله عليه وسلم أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت، كما يزعمه هؤلاء النصارى فيه، هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد ﷺ الذي يعلم من دينه بالاضطرار، كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام وإثبات رسالته، فلو ادعى اليهود على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يكذب المسيح ويجحد رسالته، كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول: إنه رب العالمين، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيما بلغه عن الله عز وجل بكفر من قال ذلك، وبما يناقض ذلك في غير موضع[1]، وزعمهم أن من في قوله تعالى (وروح منه) للتبعيض خطأ وضلال لأن من هنا ليست للتبعيض وإنما هي لابتداء الغاية، يقول ابن كثير رحمه الله :"فقوله في الآية والحديث: {وروح منه} كقوله {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} أي: من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض، كما تقوله النصارى –عليهم لعائن الله المتتابعة – بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى"[2].

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/ ٢٨)
[2] تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٨)

المبحث الثاني

عبودية المسيح عليه السلام باعتبار التصريح أنه عبد لله تعالى

لقد قطع المسيح عليه السلام الأمر في عبوديته بالتصريح بذلك بأوضح عبارة، وليس هناك أبلغ من شهادة المرء على نفسه فقد شهد بذلك في مواطن في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة: ١١٧]

فصرح عليه السلام في هذه الاية فيما أخبر الله عنه أنه عبد لله ،كما أن الله رب الناس فإن الله ربه أيضا ،وهذه شهادته يوم القيامة أمام الله عز وجل يتبرأ بها مما ادعاه فيه النصارى من الألوهية والبنوة لله عز وجل . قال السعدي رحمه الله في الآية " ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} أي: ما أمرهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي."[1]

ومن النصوص في ذلك قوله تعالى{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } [مريم: ٣٠، ٣١] ، فصرح هنا بعبوديته لله عز وجل أول ما تكلم يقول ابن كثير رحمه الله :" أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه".[2]

كما أخبر الله عز وجل أن عيسى عبد من عبيد الله ،وما كان لعيسى عليه السلام ولا لأحد من البشر أن يستنكف عن هذا المقام الرفيع .قال تعالى :{لَنْ يَسْتَنْكِفَ

---

[1] تفسير السعدي (ص: ٢٤٩)

[2] تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٨)

الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٧٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن العبودية :وقال: (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ) [الإسراء: ١]. وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبّهم ونحو ذلك، كما ذكر طائفة من المفسرين أن وفد نجران قالوا: يا محمد؛ إنك تعيب صاحبنا وتقول إنه عبد فقال النبي عليه السلام:ليس بعيب لعيسى أن يكون عبد الله، فنزل:{ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢]

أي لم يأنف المسيح من ذلك، ولم يتعظم من جعله عبدا لله. فعند النصارى الغلاة أنه سبّه وعابه. ولهذا لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب: ما تقول في المسيح عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، رفع النجاشي عودا، وقال: ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود، فنخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم. فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبا له"[١]

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :" لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ،الاستنكاف: الامتناع عن الشيء أنفة وانقباضا منه، قيل: أصله من نكف الدمع: إذا نحاه عن خده بأصبعه حتى لا يظهر، ونكف منه: أنف، وأنكفه عنه: برأه، والمعنى: لن يأنف المسيح، ولا يتبرأ من أن يكون عبدا لله، ولا هو بالذي يترفع عن ذلك ; لأنه من أعلم خلق الله بعظمة الله وما يجب له على العقلاء من خلقه من العبودية والشكر، وأن هذه العبودية هي أفضل ما يتفاضلون به ولا الملائكة المقربون يستنكفون عن أن يكونوا عبيدا لله أو عن عبادته، أو لا يستنكف أحد منهم أن يكون عبدا لله"[٢].

---

[١] الرد على الإخنائي (ص: ٢٢٣)

[٢] تفسير المنار (٦/ ٧٩)

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزخرف: ٥٩]

فصرح الله ﷻ بأن المسيح عبد له أنعم الله عليه بالرسالة فليس هو إلها ولا ابن إله يقول ابن عاشور رحمه الله :" "لما ذكر ما يشير إلى قصة جدال ابن الزبعرى في قوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم} [الأنبياء: ٩٨] ، وكان سبب جداله هو أن عيسى قد عبد من دون الله لم يترك الكلام ينقضي دون أن يردف بتقرير عبودية عيسى لهذه المناسبة، إظهارا لخطل رأي الذين ادعوا إلهيته وعبدوه وهم النصارى حرصا على الاستدلال للحق.

وقد قصر عيسى على العبودية على طريقة قصر القلب للرد على الذين زعموه إلها، أي ما هو إلا عبد لا إله لأن الإلهية تنافي العبودية. ثم كان قوله: أنعمنا عليه إشارة إلى أنه قد فضل بنعمة الرسالة، أي فليست له خصوصية مزية على بقية الرسل، وليس تكوينه بدون أب إلا إرهاصا"[1]

---

[1] التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٤٠)

المبحث الثالث

عبودية المسيح عليه السلام باعتبار البشرية

المسيح عليه السلام عبد لله تعالى، فهو بشر كغيره من البشر، من نســـل آدم عليه السلام ،كسائر ذريته الذين سبقوه ولحقوه. ولم يختلف عنهم بشيء يجعله إلها أو ابن إله، أو ما يرفعه فوق مراتب البشر.

والأدلة على هذا من القرآن الكريم ظاهرة واضحة ، ومنها:

١- أن الله عز وجل ذكر نسبه وأصوله البشرية التي يعود إليها من لدن آدم عليه السلام، كغيره من البشر، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (آل عمران: ٣٥-٣٧).

فهذه الآية الكريمة حكمت في القضية، وأبانت تفصيلا عن السلسلة المباركة التي تناسل منها هذا النبي الكريم. فأولهم آدم أبو البشر، والمسيح عليه السلام مـــن ذريتـــه. وثانيهم أبو البشر الثاني نوح عليه السلام،وثالثهم إبراهيم عليه السلام ،أبو الأنبياء الذين جاؤا مـــن

بعده ،ورابعهم عمران الذي هو جد المسيح عليه السلام لأمه، وهو من نسل إبراهيم ،وهو من صالحي بني اسرائيل، وخامسهم جدته لأمه امرأة عمران، وصلاحها ظاهر بين ،من طلبها أن يكون مافي بطنها محررا للخدمة في بيت المقدس، حيث ضحت بقرب ابنتها منها، لتكون في خدمة بيت الله تعالى. سادسهم أمه مريم رضي الله عنها ،والتي هي محررة لخدمة البيت ،وهي من أصلح بنات آدم، حيث وصفها الله تعالى بأنها صديقة في قوله تعالى {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥].

ودرجة الصديقية هي أرفع الدرجات في الكمال البشري من غير الأنبياء عليهم السلام. دل على ذلك قوله تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء:٦٩] .فذكر الصديقين بعد الأنبياء وقدمهم على الشهداء والصالحين .

ومما يؤكد تقدمها على بنات جنسها في الصلاح والخيرية، حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ، قال: "خير نسائها مريم بنت عمران ،وخير نسائها خديجة بنت خويلد"[١].

وهنا نكتة لطيفة ودلالتها عظيمة ذكرها القرطبي رحمه الله تتعلق بنسبة المسيح إلى مريم حيث قال :

"لم يذكر الله عز وجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ، فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملإ، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك، فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها، فلما قالت النصارى في مريم ما قالت، وفي ابنها صرح الله باسمها، ولم يكن عنها بالأمومة والعبودية التي هي صفة لها، وأجرى الكلام

---

[١] صحيح البخاري (٥/ ٣٨) ، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦)

على عادة العرب في ذكر إمائها. الثالثة- اعتقاد أن عيسى عليه السـلام لا أب لـه واجب، فإذا تكرر اسمه «١» منسوبا للأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقـاده من نفي الأب عنه، وتتريه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله.(١)

فهذه السلسلة المباركة من الآباء الصالحين هم بشر ، فيكون نسـلهم بشـر ،ولن يكون من غير البشر بحال من الأحوال، لأن البشر لايمكن أن يكون نسـلهم إلا بشرا .

وإن من المعلوم في خلق الله عز وجل أنه لايمكن أن يتناسل جـنس إلا مـن جنسه فقط، فلا يتناسل الحصان من الفيل ولا البقر من الغنم ونحو ذلك ،فادعـاء أن المسيح عليه السلام ليس من البشر أو أنه جنس إلهي أبعد في النجعة، وأكثر في الاستحالة من ادعاء أنه من نسل خلق مختلف الجنس .

٢- قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} [الأنبياء: ٧، ٨]

هذه الآية صريحة في أن جميع من أرسل الله عز وجل من الرسل كانوا رجـالا وهذا الوصف لا يطلق إلا على البشر قال ابن كثير رحمه الله في بيان معـنى الآيـة : "أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر، لم يكـن فـيهم أحـد مـن الملائكة"(٢).

والمسيح عليه السلام واحد من أولئك الرسل الذين كانوا رجالا، وفي نفـس معنى الآية السابقة قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف: ١٠٩]: وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢١)

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٤)

٣- قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا } [الإسراء: ٩٤ - ٩٥]

قال ابن عاشور رحمه الله : ((بعد أن عدت أشكال عنادهم ومظاهر تكذيبهم أعقبت ببيان العلة الأصلية التي تبعث على الجحود في جميع الأمم ،وهي توهمهم استحالة أن يبعث الله للناس برسالة بشرا مثلهم. فذلك التوهم هو مثار ما يأتونه من المعاذير، فالذين هذا أصل معتقدهم لا يرجى منهم أن يؤمنوا ولو جاءهم كل آية، وما قصدهم من مختلف المقترحات إلا إرضاء أوهامهم بالتنصل من الدخول في الدين، فلو أتاهم الرسول بما سألوه لانتقلوا فقالوا: إن ذلك سحر، أو قلوبنا غلف، أو نحو ذلك. ... وإذ شمل العموم كفار قريش أمر الرسول بأن يجيبهم عن هذه الشبهة بقوله: {لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين} الآية، فاختص الله رسوله محمدا ﷺ باجتثاث هذه الشبهة من أصلها اختصاصا لم يلقنه من سبق من الرسل، فإنهم تلقوا تلك الشبهة باستنصار الله تعالى على أقوامهم فقال عن نوح {قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين} [الشعراء: ١١٨] .

ومعنى قوله:((لو كان في الأرض ملائكة يمشون)) إلخ: أن الله يرسل الرسول للقوم من نوعهم للتمكين من المخالطة لأن اتحاد النوع هو قوام تيسير المعاشرة، قال تعالى:{ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا} [الأنعام: ٩] ، أي في صورة رجل ليمكن التخاطب بينه وبين الناس". [١]

هذه الآية كسابقتها في الدلالة على بشرية المسيح عليه السلام،وأن هذه إشكالية الكافرين مع رسلهم ،وهي إنكار رسالتهم لأنهم بشر، فرد الله ﷻ عليهم بإثبات بشرية عموم الرسل من قبل ،وأن الملائكة وهم الصنف المقترح إرساله من قبل الكفار

---

[١] التحرير والتنوير (١٥/ ٢١١)

لايمكن أن يأتوا رسلا للبشر لاختلاف الجنس، ولو أنه كان ممكنا وجود الملائكـــة في الأرض لأرسل الله ﷻ لهم ملكاً من جنسهم ليمكنهم التفاهم معه وقبول رسالته.

٤- قوله تعالى{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائـــدة: ٧٥]

نصت الآية على دليل وبرهان واضح على بشرية المســـيح ،وهـــو أن مـــن مقتضيات البشرية أكل الطعام ولوازم الأكل والشرب هو قضاء الحاجة بل وحاجـــة الإنسان للطعام وافتقاره إليه لتقوم به حياته، ولا يمكن أن يكون ذلك المحتاج إلها ورباً.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في الآية :" وهذا خبر من الله تعـــالى ذكـــره، احتجاجا لنبيه محمد ﷺ على فرق النصارى في قولهم في المسيح عليه السلام يقـــول مكـــذبا لليعقوبية[1] في قيلهم:"هو الله" والآخرين في قيلهم: "هو ابن الله": ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك مـــن صفة البشر لا من صفة خالق البشر، وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر، حجة له على صدقه، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه، كما أجرى على أيدي مـــن قبله من الرسل من الآيات والعبر، حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل ..

[1] اليعقوبية هم أتباع يعقوب البرادعي، قالوا بأن المسيح ذو طبيعة واحدة، امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، ونسب المذهب إلى يعقوب البرادعي لأنه من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس عشر.وبسبب ذلك الإعلان انعقد مجمع خليدونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي.انظر:الملل والنحل ص١٨٢،والفصل في الملل ٤٨/١

وقوله: "كانا يأكلان الطعام"، خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك، فغير كائن إلها، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليل واضح على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا" (١)

٥- قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩، ٦٠]

بين ربنا تبارك وتعالى بأن المسيح من نسل بشري فإن أباه الأعلى آدم وآدم مخلوق من تراب ،وهو أب للبشر كلهم ،لم يخرج عن هذه الأبوة أحد لا المسيح ولا غيره، فالمسيح بشر كما أن أباه بشر، وهذه من حجج الله ﷻ على المغالين فيه ،ومن اعتقدوا فيه الإلهية والبنوة لله تعالى الله عن قولهم.

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد، استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك} أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق، الذي في أعلى رتب الصدق،

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٤)

لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام".[(١)]

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣٣)

المبحث الرابع

عبودية المسيح ﷺ باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية

يصطفي الله ﷻ لرسالته من يشاء من عباده، فمن أرسله من عباده إنما أرسله لخصوصية قامت في المرسَل أو بعبارة أخرى هو عبد مصطفي كما قال تعالى {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج: ٧٥]

وكما قال تعالى عن مجموعة من صفوة البشر من الرسل :{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص: ٤٥ – ٤٧]

فمن كان رسولاً من البشر، فقد حقق العبودية الكاملة لله تعالى ،فكل رسول من البشر هو عبد لله قد حاز كمال العبودية، والمسيح عليه السلام من هؤلاء الرسل ،الذين حازوا كمال العبودية لله تعالى .وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أنه عبد رسول منها، قوله تعالى :{ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } [مريم: ٢٩ – ٣٣].

ففي هذه الآيات قدم العبودية لأن العبودية هي الغاية من الخلق وقدم العبودية على النبوة لأن العبودية حق الله تبارك وتعالى والنبوة لمصلحة البشر فقدم حق الله على حق البشر . كما وأن تصريحه بالعبودية تنفي عنه دعوى النصارى إلوهيته وبنوته لله ﷻ .

قال مقاتل في الآية: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلها، آتاني الكتاب وجعلني نبيا،"[(١)]

وقال القرطبي :" {قال إني عبد الله } فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، رداً على من غلا من بعده في شأنه"[(١)].

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٢)

وقال السعدي رحمه الله :" قال عيسى ﷺ، وهو في المهد صبي: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله :{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} ومدعون موافقته.{آتَانِيَ الْكِتَابَ} أي: قضى أن يؤتيني الكتب {وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه"(٢)

وقال ابن عاشور : "الابتداء بوصف العبودية لله ألقاه الله على لسان عيسى لأن الله علم بأن قوما سيقولون: أنه ابن الله"(٣).

كما أن المسيح ﷺأكد العبودية بالتزام لوازمها بتأكيده على إقامة الصلاة وهي أعظم الحقوق البدنية لله ﷻ وإيتاء الزكاة وهي أعظم الحقوق المالية لله ﷻ على العباد، وبر الوالدة

وهي أعظم حق للبشر على البشر فإن الوالدة حقها بعد حق الله ﷻ كما قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء: ٢٣]

فالآيات صريحة في عبودية المسيح لله ﷻ وأنه كان عبدا مربوبا وليس إلها معبودا كما يزعم النصارى.

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٠٢)

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٢)

(٣) التحرير والتنوير (١٦/ ٩٨) ولا حظ ابن عاشور رحمه الله ملاحظة مهمة هنا وذلك قوله " كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طي يتعجب منه. ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم."

المبحث الخامس

عبودية المسيح عليه السلام باعتبار قبضه ورفعه إلى السماء

إن مما يؤكد عبودية المسيح عليه السلام أن الله تعالى قد قبضه إليه قبضا خاصا بجسده وروحه وذلك ينفي عنه الإلوهية وتثبت له العبودية لله عز وجل وذلك أن المتصرف فيه كيف يشاء هو الله عز وجل ومن الآيات الدالة على ذلك :

قوله تعالى {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [آل عمران: ٥٥ – ٥٧]

وقوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } [النساء: ١٥٧ – ١٥٩]

فهذه آيات صريحة في أن الله عز وجل قد نجى نبيه من أعدائه اليهود الذين أرادوا قتله فرفعه إليه، وفيها من الدلالة على عبودية المسيح عليه السلام واصطفائه وحماية الله عز وجل له من أعدائه حماية خاصة تدل على عبودية خاصة ومكانة عند الله عز وجل مميزة عن غيره من البشر لكنها لا تخرجه عن الصفة البشرية ولا عن مقام العبودية وفي هذا جاء كلام أهل العلم .

ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ،:وقد سئل عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أحدهما: إن عيسى ابن مريم توفاه الله ثم رفعه إليه؛ وقال الآخر: بل رفعه إليه حيا. فما الصواب في ذلك. وهل رفعه بجسده أو روحه أم لا؟ وما الدليل على هذا وهذا؟ وما تفسير قوله تعالى {إني متوفيك ورافعك إلي} ؟فأجاب:

الحمد لله، عيسى الطَّيِّلاحي وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: " ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية " وثبت في الصحيح عنه"أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال ".

ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا}، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: {ومطهرك من الذين كفروا} ،ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء.

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه} فقوله هنا: {بل رفعه الله إليه} يبين أنه رفع بدنه وروحه ،كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات.

ولهذا قال من قال من العلماء: {إني متوفيك} أي: قابضك، أي قابض روحك وبدنك يقال: توفيت الحساب واستوفيته ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعا إلا بقرينة منفصلة. وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها} وقوله: {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار} وقوله: {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا} وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هو مذكور في موضعه. والله تعالى أعلم.[1]

---

[1] مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٢)

وقال السعدي رحمه الله "فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي شبهه على غيره، فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله"[١]

---

[١] تفسير السعدي (ص: ١٣٢)

المبحث السادس

عبودية المسيح ﷺ باعتبار نزوله وموته

عيسى ﷺ عبد الله ﷻ ،ويؤكد ذلك ما ثبت من نزوله ﷺ قبل يوم القيامة وكذلك موته ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى قوله تعالى عن بيه عيسى ﷺ :{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف: ٥٩، ٦٠]

فهذه الآية فيها إشارة واضحة إلى أن الله ﷻ كما رفع عيسى ﷺ ،سينزله آخر الزمان علامة من علامات الساعة .

كما ذكر أهل العلم في معنى الآية وهي قوله تعالى: { وإنه لعلم للساعة} .وقد نقل الطبري تفسيرها بذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك وابن زيد وقتادة والسدي أن المقصود بها: "نزول عيسى ابن مريم علم للساعة حين ينزل"[(١)]

قال ابن كثير في بيان معنى الآية: "الصحيح أنه عائد على عيسى ﷺ، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي: قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم {ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٥٩] ، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: "وإنه لعَلَم للساعة" أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: {وإنه لعَلَم للساعة} أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة ﷺ، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٢)

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى بن مريم ، عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا.[١]

ومن الأحاديث في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: " واقرءوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٥٩] "[٢]

روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[٣] وفي رواية مسلم «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟»

والأحاديث في هذا الباب متواترة كما ذكر أهل العلم.

ومن الآيات التي تدل على النزول { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]

فهذه الآية أثبتت عبودية عيسى لله عز وجل ،من ناحية نزوله قبل يوم القيامة كما هو قول شيخ المفسرين الطبري رحمه الله، ورجحه، فبعد أن ذكر أقوال أهل العلم في الآية قال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك:"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"[٤] .

ويعني بذلك نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علما من أعلام الساعة .

---

[١] تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦)

[٢] صحيح البخاري (٤/ ١٦٨)

[٣] صحيح البخاري (٤/ ١٦٨) صحيح مسلم (١/ ١٣٧)

[٤] تفسير الطبري (٩/ ٣٨٦)

ورجح ابن كثير قول ابن جرير بل قال :"ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سيترل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة"[١]

وهذا القول هو الأرجح خاصة أن أباهريرة رضي الله عنه قد استدل بالآية على نزول عيسى عليه السلام كما مر قريبا وهو عند البخاري.

كما أن من الأدلة الصريحة على العبودية لله ،وهي العبودية العامة التي تشمل الأحياء جميعا سوى الله عز وجل ،هي حلول الموت بجميع المخلوقات الحية ومن هؤلاء عيسى عليه السلام وقد نص الله عز وجل على ذلك في مواطن عديدة منها: قوله تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } [مريم: ٣٣]

فالمسيح هنا قد نص على موته ،فيما حكاه الله عنه من قوله في المهد، فكما خلق سيموت ويبعث، وهذه صفة ملازمة لكل الأحياء من المخلوقات ،وهي دليل للعبودية العامة.

وفي هذا جاء كلام أهل العلم ومن ذلك قول ابن كثير رحمه الله في الآية حيث قال : وقوله: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} : إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، [صلوات الله وسلامه عليه][٢]

ونحوه قال ابن سعدي رحمه الله في الآية حيث قال: "فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال قال: {وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} أي:

---

[١] تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ٤٠٢)

[٢] تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٠)

من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثي، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله حقا"[١].

فجميع المواطن التي ذكرناها والتي هي صريحة في عبوديته بدأ من تصريحه وكلامه عن نفسه وما ذكر الله ﷻ عنه من أحواله كالبشرية والرسالة والقبض والرفع والنزول ثم الموت ،كل ذلك أدلة وبراهين على أن المسيح ﷺ كان عبدا مخلوقا مربوبا ليس إلها ولا ابن إله كما افترى ذلك النصارى وادعوه عليه دعوى كاذبة سيتبرأ منها يوم القيامة ،كما قال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٦، ١١٧]

---

[١] تفسير السعدي (ص: ٤٩٢)

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .وبعد،ففد توصلت بعد بحثي هـــذا إلى تأكيد حقائق مهمة أعرضها في خاتمة بحثي على النحو التالي:

- قطع المسيح وصرح بعبوديته لله تعالى وشهد على نفسه بذلك: {إني عبد الله}
- أثبت القرآن عبودية المسيح لله باعتباره بشرا كغيره من البشر،واصطفائه للرسالة لا يخرجه عن أنه بشر،ولا يجعله إلها ولا ابن إله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام).
- أثبت المسيح أنه عبد بتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى ،حيث حكى الله تعالى على لسانه عليه السلام (قال أني عبد الله).
- يؤكد عبودية المسيح قبضه ورفعه إلى الله تعالى وهذا يثبت أنه عبد وأن المتصرف فيه هو الله سبحانه تعالى الخالق المدبر.
- مما يؤكد عبودية المسيح اعتقاد المسلمين بنزوله قبل يوم القيامة وكذلك موته كما يموت البشر ودلت الآيات على ذلك وتواترت الأحاديث الصحيحة المخبرة بنزول عيسى عليه السلام إماما عادلا وحكما مقسطا.
- نص المسبح على عبوديته وأكد ولادته وموته فيما حكاه الله عنه قال تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } وهذه صفة ملازمة لكل الأحياء من المخلوقات ،وهي دليل للعبودية العامة. فهو مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق.

قائمة المراجع

١- إظهار الحق .رحمة الله الهندي. تحقيق:محمد أحمد ملكاوي.الرياض. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .ط١. ١٤١٠هـ.

٢- الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام.الخزرجي، محمد بن أحمد. تحقيق:أحمد حجازي السقا.القاهرة.دار التراث العربي.

٣- الله جل جلاله واحد أم ثلاثة . منقذ محمود السقارط١،دار الإسلام للنشر والتوزيع.

٤- تفسير البغوي. تحقيق:عبد الرزاق المهدي.ط١.بيروت.دار إحياء التراث العربي.١٤٢٠هـ.

٥- تفسير السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق.ط١.بيروت.مؤسسة الرسالة.١٤٢٠هـ.

٦- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي .الدار التونسية للنشر. تونس.١٩٨٤م.

٧- تفسير الطبري.ابن جرير. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة.ط١. دار هجر للطباعة والنشر.١٤٢٢هـ.

٨- تفسير ابن كثير.تحقيق: محمد حسين شمس الدين.ط١.بيروت.دار الكتب العلمية.١٤١٩هـ.

٩- تفسير المنار.محمد رشيد رضا.القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٩٠م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. دار الكتب المصرية – القاهرة.ط٢. ١٣٨٤هـ..

١١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .ابن تيمية.ط٢.الرياض.دار العاصمة.١٤١٩هـ.

١٢- دقائق التفسير.ابن تيمية.تحقيق: محمد السيد الجليند.ط٢.دمشق.مؤسسة علوم القرآن؟ ١٤٠٤هـ.

١٣- الرد على الإخنائي.ابن تيمية. تحقيق:الداني بن منير آل زهوي.ط١.بيروت.المكتبة العصرية.١٤٢٣هـ.

١٤- رسالة العبودية. ابن تيمية. تحقيق:علي حسن عبد الحميد، الإسماعيلية،دار الأصالة، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٥- شرح العقيدة الطحاوية.ابن أبي العز الحنفي. ط١.دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي). ١٤٢٦هـ.

١٦- شرح رسالة العبودية.عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.الرياض.دار الفضيلة.١٤١٩هـ.

١٧- صحيح البخاري.محمد بن إسماعيل. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).ط١.١٤٢٢هـ.

١٨- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.بيروت.دار إحياء التراث العربي .

١٩- الفصل في الملل والنحل.ابن حزم، علي بن أحمد .القاهرة.مكتبة الخانجي.

٢٠- لسان العرب.ابن منظور.ط٣.بيروت.دار صادر.١٤١٤هـ.

٢١- مدارج السالكين .ابن القيم.ط٣.بيروت.دار الكتاب العربي.١٤١٦هـ.

٢٢- مجموع الفتاوى.ابن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.١٤١٦ه.

٢٣- المختار في الرد على النصارى.الجاحظ. تحقيق:د. محمد عبد الله الشرقاوي.ط١.بيروت.دار الجيل.١٤١١هـ.

٢٤- المستشرقون.نجيب العقيقي.ط٣.القاهرة.دار المعارف.١٩٦٤م.

٢٥- المسند.أحمد بن حنبل.ط١.بيروت.مؤسسة الرسالة.١٤٢١هـ.
٢٦- الملل والنحل.الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم .بيروت.مؤسسة الحلبي.
٢٧- المنجد في الأعلام.بيروت.دار المشرق.١٩٩٤م.